

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:  
مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا  
سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ  
رواه مسلم



## الفصل الدراسي الثاني

### السياسة الشرعية

معالي الشيخ/ صالح بن حميد

#### الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صلِّ وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

{الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد..}

فاللهم اغفر لنا ولشيخنا وللمشاهدين وجميع المسلمين..

قال ابن تيمية رحمه الله:

وَإِنْ كَانَتْ الْحَاجَةُ فِي الْوَلَايَةِ إِلَى الْأَمَانَةِ أَشَدَّ قَدِيمَ الْأَمِينِ: مِثْلُ حِفْظِ الْأَمْوَالِ وَنَحْوِهَا: فَيُؤَلَّى عَلَيْهَا شَأْدٌ قَوِيٌّ يَسْتَخْرِجُهَا بِقُوَّتِهِ، وَكَاتِبٌ أَمِينٌ يَحْفَظُهَا بِخَبَرَتِهِ وَأَمَانَتِهِ.

وَكَذَلِكَ فِي إِمَارَةِ الْحَرْبِ إِذَا أُمِرَ الْأَمِيرُ بِمُشَاوَرَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ جَمَعَ بَيْنَ الْمَصْلَحَتَيْنِ: وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الْوَلَايَاتِ إِذَا لَمْ تَتِمَّ الْمَصْلَحَةُ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ جَمَعَ بَيْنَ عَدَدٍ: فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْجِيحِ الْأَصْلَحِ أَوْ تَعَدُّدِ الْمُؤَلَّى إِذَا لَمْ تَقَعْ الْكِفَايَةُ بِوَاحِدٍ تَامٍ.

- لعلنا نكمل ما وقفنا عنده في الجلسة الماضية في النص الذي ذكره الشيخ في المقارنة إن صح التعبير المقارنة بين أبي بكر وعمر من حيث الشدة والولاية حينما قال: إن أبا بكر ولي خالدًا لأن أبا بكر فيه ليونة، وخالد فيه قوة، وتحمل بعض هفواته، لأنه كان له فيها عنده فيها نوع تأويل، وقد ذكر له أيضًا حتى نص شيخ الإسلام، أنه ذكر لأبي بكر أنه كان له فيها هوى، فلم يعزله من أجلها، بل عتبه عليها لرجحان المصلحة. وكان خلقه يميل للين، ويقول شيخ الإسلام لأن المتولي الكبير إذا كان خلقه يميل إلى اللين، فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى الشدة، وإذا كان خلقه يميل إلى الشدة، فينبغي أن يكون خلق نائبه يميل إلى اللين، ولهذا قارن بين أبي بكر وعمر في هذا الموضوع. وعمر كان يؤثر عزل خالد، وعزله وولى أبا عبيدة بن الجراح، ولأن خالدًا كان شديدًا كعمر، وأبا عبيدة كان لينًا كأبي بكر.

- شيخنا الشيخ ابن تيمية رحمه الله يقول: إن هذا عجيبٌ وأن فائدة لم تمر علينا إلا في هذا الكتاب، التي هي قضية المقارنة بين أبي بكر وعمر في شدتهما وقوتهما وبين من اختار من يعملان معهما فيه أيضًا هذا شديدٌ وهذا قويٌّ، وهذا قويٌّ وهذا شديدٌ.

● النبي صلى الله عليه وسلم فيه الشخصيتان، هو نبي الرحمة ونبي الملحمة، وهو الضحوك القتال ، فأبو بكر مع خالد يجتمع فيه الوصفان، وعمر مع أبي عبيدة يجتمع فيه الوصفان.

● ولهذا خلص شيخ الإسلام: وأتمه وسطاً، قال: ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: 29]، وقال: ﴿أَذَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 54].

● ثم قال: «اقتدوا بالذَّيْنِ من بعدي: أبي بكر وعمر» ، لأن مجموعهما فيه الاعتدال، وظهر من أبي بكر من شجاعة القلب في قتال أهل الردة وغيرهم ما برز به على عمر، بل حينما نسبر خلافة أبي بكر رضي الله عنه وهي مدتها سنتان وأشهرٌ ومواقف حاسمةٌ هو الذي حسمها، بقوته، لا شك أنه نصر لهذا الدين، وتوفيق الله له، لكنه على الرغم ما قد يلحظ في سيرته من اللين، ومن الرفق، لكنه أولاً: حينما اضطرب الناس عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى إن عمر رضي الله عنه لم يسلم بموت النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: من قال إن محمداً قد مات فسوف أعلوه بهذا أو كما ورد، وإنما محمداً ذهب إلى ميقات ربه كما ذهب موسى، حتى جاء أبو بكر ووقف وقفة الواثق والإمام، وقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: 144]، يقول عمر: كأني لم أسمعها إلا اليوم.

● الردة كان المسلمون ضعاف جداً، وكان مضطربين، ولم يكد يبقى في المسلمين إلا أهل المدينة المهاجرين والأنصار وأعدادهم قد تكون ألفاً أو ألفين أو ثلاثة آلاف، لكن كان أبو بكر مصرّاً على حرب الردة، والله لو منعوني عقلاً أو قال عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه.

قال: ..... إلا أن شرح الله صدر أبي بكر بالقتال، وفعلاً كان عز الإسلام، قوة، من يقف في هذا الموقف، في هذا الحال المضطرب، بل قبلها البيعة، حينما كان في الثقيفة، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ، مباشرةً حسم الموضوع، بل حتى أيضاً بعث جيش أسامة، المدينة بحاجةٍ إلى تعزيزٍ وإلى جيوشٍ، قال: لا، الرسول قال يذهب إذن يذهب، بل في الجيش كان أبو بكر وعمر، كانوا في الجيش، وكان أمير الجيش أسامة، وفعلاً وسار أبو بكر وعمر مع الجيش حيث وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، لكنه استأذن، قال: إذا أذنت لي وأخذ عمر، فأذن أسامة لأبي بكر أن يبقى في المدينة مع أنه الخليفة.

● حتى جمع القرآن، ترى جمع القرآن قرار ليس سهلاً، ولهذا كان يقول زيد لو أنه حملني الجبل حملته. فهذه مواقف يتبين فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ». في الصلاة، مما يدل على أهليته التامة والكاملة رضي الله عنه وأرضاه.

ثم قال: وإن كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد قدم الأمين،

● طبعاً كان يتكلم عن ولاية الحرب، تكون الحاجة إلى قويٍّ، ثم يأتي بالمقابل يقول: وإن كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، التي هي الديانة ولا يحتاج الأمر إلى إدارة الناس، ولا يحتاج إلى قوة إدارية وإدارية، قال: قدم الأمين، مثل حفظ الأموال، لأن يكون خازناً على مالٍ ما فيه تصرفٌ إداريٌّ، فهذا يوضع له الأمين وإن كان ضعيفاً، باعتبار أنه يحفظ المال، ونحوها.

● وأما استخراجها وحفظها، يعني صرفها، الاستخراج الصرف فلا بد فيه من قوةٍ وأمانةٍ، فيولى عليها شاداً قويّاً

، يعني موظفٌ قويٌّ، يستخرجها بقوته، يعني الأموال، وكاتبٌ أمينٌ يحفظها، يعني كأنه يقول نأتي باثنين، يكون الذي يصرف والذي يستخرج يكون واحدًا والأمين الحافظ واحدًا، فيقول: فيولي عليها شادٌ قويٌّ يستخرجها بقوته، وكاتبٌ أمينٌ يحفظها بخبرته وأمانته.

- قال: وكذلك في إمارة الحرب، أمر الأميرُ بمُشاوَرَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ جَمَعَ بَيْنَ الْمُصْلِحَتَيْنِ؛ وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الْوِلَايَاتِ إِذَا لَمْ تَتِمَّ الْمُصْلَحَةُ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ جَمَعَ بَيْنَ عَدَدٍ، بحيث المجموع يغطي الكفاءة المطلوبة، قال: فَلَا بُدَّ مِنْ تَرْجِيحِ الْأَصْلَحِ أَوْ تَعَدُّدِ الْمُؤَلَّى إِذَا لَمْ تَقَعْ الْكِفَايَةُ بِوَاحِدٍ تَامٍ.

إِذَا لَمْ تَقَعْ الْكِفَايَةُ بِوَاحِدٍ تَامٍ. قَالَ: وَقَدْ قَدْ يَظْهَرُ حُكْمُهُ وَيُخَافُ فِيهِ الْهَوَى- الْأَوْرَعُ: وَفِيمَا يَدُقُّ حُكْمُهُ وَيُخَافُ فِيهِ الْإِسْتِبَاهُ: الْأَعْلَمُ. فِيهِ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وَرُودِ الشُّبُهَاتِ وَيُحِبُّ الْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ خُلُولِ الشَّهَوَاتِ».

وَيُقَدِّمَانِ عَلَى الْأَكْفَاءِ إِنْ كَانَ الْقَاضِي مُؤَيَّدًا تَأْيِيدًا تَامًا مِنْ جِهَةٍ وَالِي الْحَرْبِ أَوْ الْعَامَّةِ. وَيُقَدِّمُ الْأَكْفَاءُ، إِنْ كَانَ الْقَضَاءُ يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ وَإِعَانَةٍ لِلْقَاضِي أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِ إِلَى مَزِيدِ الْعِلْمِ وَالْوَرَعِ؛ فَإِنَّ الْقَاضِيَّ الْمُطْلَقَ يَحْتَاجُ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا عَادِلًا قَادِرًا. بَلْ كَذَلِكَ كُلُّ وَالٍ لِلْمُسْلِمِينَ فَأَيُّ صِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ نَقَصَتْ ظَهَرَ الْخُلُلُ بِسَبَبِهِ وَالْكَفَاءَةُ: إِمَّا بِقَهْرٍ وَرَهْبَةٍ؛ وَإِمَّا بِإِحْسَانٍ وَرَغْبَةٍ وَفِي الْحَقِيقَةِ فَلَا بُدَّ مِنْهُمَا.

وَسُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِذَا لَمْ يَوْجَدْ مَنْ يُؤَلَّى الْقَضَاءُ؛ إِلَّا عَالِمٌ فَاسِقٌ أَوْ جَاهِلٌ دَيْنٌ؛ فَأَيُّهُمَا يُقَدِّمُ؟ فَقَالَ: إِنْ كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى الدِّينِ أَكْثَرَ لَغَلَبَةِ الْفَسَادِ قَدِيمِ الدِّينِ. وَإِنْ كَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَى الْعِلْمِ أَكْثَرَ لَخَفَاءِ الْحُكُومَاتِ قَدِيمِ الْعَالِمِ.

وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ يُقَدِّمُونَ ذَا الدِّينِ؛ فَإِنَّ الْأَيْمَةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الْمُتَوَلَّى مِنْ أَنْ يَكُونَ عَدِلًا أَهْلًا لِلشَّهَادَةِ؛ وَاخْتَلَفُوا فِي اشْتِرَاطِ الْعِلْمِ: هَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا أَوْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُقَلِّدًا أَوْ الْوَاجِبُ تَوَلِيَةُ الْأُمْتَلِ فَأَلْأُمْتَلِ كَيْفَمَا تَيْسَّرُ؟ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ. وَبَسَطَ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

قال رحمه الله: ويقدم في ولاية القضاء،

- الشيخ ذكر ولاية الحرب، وذكر ولاية الأموال، والآن هنا ذكر، كلهم بالتمثيل، يعني أين تكون القوة، وأين تكون الأمانة، وأيهما ترجح، فذكر ثلاثة أنواعٍ من الولايات: ولاية الحرب، وولاية المال، وهنا ولاية القضاء.
- فقال: ويقدم في ولاية القضاء أعلم الأورع الأكفاء، ما فهمت.. حينما قال أعلم الأورع الأكفاء، فكأنه جعل الأكفاء قسيم، أعلم وأورع وأكفاء، بينما في مفهومنا المعاصر أن الأكفاء هو الذي يجمع الكفاءة بما تعني القوة والأمانة، وتعني العلم والورع، حينما يكون كفاءً بمعنى مستجمعاً، في مصطلحنا، في مصطلحنا أن الكفاء هو من استجمع الصفات المطلوبة في الوظيفة، في قوتها وفي أمانتها، يعني في تأهيلها وفي إدارتها، وفي أيضاً خبرتها وتجربتها، وفي أيضاً قوة تنفيذها.

• ويقدم في ولاية القضاء أعلم الأورع الأكفاء، كأنه أراد ثلاث صفات، أعلم أورع أكفاء،

قال: فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا أَعْلَمَ وَالْآخَرُ أَوْرَعُ قَدِ يَظْهَرُ حُكْمُهُ وَيُخَافُ فِيهِ الْهَوَى الْأَوْرَعُ.

- يعني إذا كانت المسألة سهلةً، حكمها ما تحتاج مزيد من الاجتهاد، يقدم الأورع، لأنها ليست من عويص المسائل، أو من مشكلات الخصومات.

**وقال: وفيما يدق حكمه، ويخاف فيه الاشتباه، يقدم الأعلّم،**

- وإن كان أقل ورعًا، هذا معناه، ولهذا في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «**إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حدوث الشبهات**» ، الحديث يبدو أنه فيه ضعفٌ على كل حالٍ، لكن لعل أن يكون معناه صحيحٌ.

**قال: ويقدمان على الأكفأ.**

- ويقدمان على الأكفأ، يعني كأن الأكفأ قسيمٌ له، وأنه ليس أعلم ولا أورع، ما أدري ماذا يصير، إن كان القاضي مؤيدًا تأييدًا تامًا من جهة والي الحرب، أو العامة، فما فهمتُ المراد، من هو الأكفأ هذا الذي ليس بأعلم ولا بأورع.
- قال: هما يقدمان على الأكفأ، **لكن يقدم الأكفأ متى؟ إن كان القضاء يحتاج إلى قوةٍ، وإعانةٍ للقاضي، أكثر من حاجته إلى مزيد علمٍ وورعٍ**، فإن القاضي المطلق، يحتاج أن يكون عالمًا، عادلاً، قادرًا، فكأن الأكفأ يعني الأقدر، تفصيل الشيخ هنا، القاضي المطلق، أن يكون عالمًا، عادلاً، قادرًا، لكن إلى حد علمي، لا يزال الموضوع مشوشًا.

**بل وكذلك كل والي المسلمين، فأى صفةٍ من هذه الصفات نقصت، ظهر الخلل بسببه،**

- بسبب هذه النقص في الصفات، قال: والكفاءة، هذا تفسيرٌ للكفاءة، يقول: والكفاءة إما بقهرٍ ورهبةٍ، وإما بإحسانٍ ورغبةٍ، وفي الحقيقة فلا بد منهما، ولا شك إدارة الناس، هذا مراده، لكن كونه سماها كفاءةً، ما أدري، مراده أن الناس تدار، إما بالقهر والرهبة، وإما بالإحسان والرغبة، وهذا صحيحٌ، يعني لا شك بين الرجاء وبين الخوف، بعض الناس لا يردعه إلا قوةٌ ورهبةٌ، وبعض الناس يجذبه الإحسان والرغبة، وهذه ترجع إلى بصر الوالي، وإلى بصر الموظف، والمسئول، والمدير، ينظر فعلاً، وأحياناً تستعمل الرغبة والإحسان، ثم لا تجزي، فتنتقل إلى القهر والرهبة كما عبر الشيخ، مقصده الشدة إلى حدٍّ ما.

**وسئل بعض العلماء، إذا لم يوجد من لم يؤلّ القضاء، إلا عالمٌ فاسقٌ، أو جاهلٌ دينٌ،**

- هذه إن صح التعبير، هذه مسألة تطبيقيةٌ، الشيخ أوردتها كتطبيقٍ، لما قرره في الجملة السابقة، قال: فإذا لم يوجد من لم يؤلّ القضاء، إلا عالمٌ فاسقٌ، أو جاهلٌ دينٌ، فأيهما يقدم؟ فقال: إن كانت الحاجة إلى الدين أكثر، لغلبة الفساد، قُدم الدين، وإن كانت الحاجة إلى العلم أكثر، لخفاء الحكومات، قُدم العالم، كما قال قبل قليل: إذا كان المسألة خفيفةً، ليست من العويص، لاشك يقدم الدين والأورع، أو كما قال: إذا غلب الفساد في الناس، إذا غلب الفساد في الناس أيضاً فلاشك يحتاج إلى الأورع، من أجل أن يحملهم على الخير وعلى الصلاح، وعلى الحق.

- وإذا كانت المصلحة عويصةً، ومن الدقائق، والملتبسات، لاشك تحتاج إلى عالمٍ متمكنٍ في علمه، حتى من أجل أن يحل هذه المشكلة.

**قال: وأكثر العلماء يقدمون الدين،**

- بل هذا هو الأصل، الأصل أن يقدم ذا الدين. فإن الأئمة متفقون، كأن الشيخ يعلق على إجابة هذا العالم، أورد السؤال، وإجابة هذا العالم، فالشيخ يتعقب هذا العالم بقوله: وأكثر العلماء يقدمون ذا الدين، فإن الأئمة متفقون على أنه لابد في المتولي من أن يكون عدلاً، أهلاً للشهادة، طبعاً قال الشهادة؛ لأنه قال: فاسقٌ، مفترض أن يكون عالمًا فاسقًا، أو جاهلاً دينيًا، فقال: أهلية الشهادة، طبعاً حينما يقول أهلية الشهادة، بمعنى أنه ليس فاسقًا.
- واختفوا في اشتراط العلم، هل يجب أن يكون مجتهدًا؟ أو يجوز أن يكون مقلدًا؟ أو يواجه تولية الأئمة فالأئمة، كيفما تيسر، على ثلاثة أقوالٍ، وبسط الكلام على ذلك بغير هذا الموضوع.

{قال: ومع أنه يجوز تولية غير أهل للضرورة، إذا كان أصلح الموجود، فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال، حتى يكمل في الناس ما لابد لهم منه، من أمور الولايات والإمارات ونحوها، كما يجب على المعسر، السعي في وفاء دينه، وإن كان في الحال لا يطلب منه، إلا ما يقدر عليه، وكما يجب الاستعداد للجهاد، بإعداد القوة، ورباط الخيل، في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجبٌ، بخلاف الاستطاعة في الحج ونحوها، فإنه لا يجب تحصيلها؛ لأن الواجب هنا لا يتم إلا بها}.

- هذه تختيارٌ لهذه المسألة، وهو يولي غير أهل للضرورة، لكن لا ينبغي الوقوف والاستسلام، كأنه يقول: لابد من تأهيل الناس، وإن كنا محتاجين إلى أن نولي هؤلاء الذين فيهم نقصٌ، لكن لا ينبغي أن نقف، إنما نعيد التأهيل، وننشئ إن صح التعبير أجيالاً من المؤهلين، من أصحاب الولايات، سواءً في ولاية حربٍ، أو ولاية قضاءٍ، أو ولاية أموالٍ، إلى آخره،

قال: ومع أنه يجوز تولية غير أهل للضرورة، إذا كان أصلح الموجود،

- لكن ومع هذا يجب السعي في إصلاح الأحوال، لا ينبغي للأمة، ولا للدولة، ولا للجهة، أن تستكين إذا كان المؤهلون عندها ليسوا بذاك، عليها أن تسعى في التحسين، تسعى في التدريب، تسعى في التطوير، تسعى في مزيد من التعليم، وإيجاد الأصلح، وتستكين إلى وضعها العلمي الضعيف، أو التأهيلي الضعيف، ولهذا فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال، حتى يكمل في الناس ما لابد لهم منه، من أمور الولايات والإمارات ونحوها، كما يجب على المعسر السعي في وفاء دينه، وإن كان في الحال لا يطلب منه إلا ما أخذ عليه، بمعنى حينما قال الله -عز وجل: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280] هذا في حق الدائن، أن ينظر المعسر يجب عليه أن يسعى، ليس معنى هذا أن المعسر يستكين، عليه أن يسعى في إبراء ذمته، وعليه أن يسعى في سداد دينه، لكن أيضاً على الدائن أنه أيضاً ينظر أخاه ويمهله، ولهذا قال على الرغم من المطلوب من الدائن الإنظار، أيضاً كذلك مطلوب من المعسر أن يسعى في وفاء دينه، وتحسين أوضاعه.

قال: وإن كان في الحال لا يطلب منه، إلا ما يقدر عليه المعسر، وكما يجب الاستعداد للجهاد، استعداد القوة، ورباط الخيل، في وقت سقوطه العجز،

- لاشك طبعاً العلماء قرروا في الجهاد، أن لو الملكات ضعيفةً، أنها لا يجب عليها الجهاد، وأنها تصالح الأعداء، إذا كانت غير قادرة على مواجهة العدو، أنها تصالحه، لكن لا يعني أن تبقى عاجزةً، عليها أن تستعد، وعليها أن تعيد تأهيل نفسها من حيث قوة الإعداد العسكرية، ولذا قال الشيخ: وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة



ورباط الخيل، في وقت سقوطه للعجز، فإنما ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجبٌ، بخلاف الاستطاعة في الحج، الاستطاعة في الحج طبعاً آخر شيء، الشيخ فقيهٌ، والشيخ مليءٌ رأسه بالعلم وبالاستحضار، سرعة استحضار المسائل، واستحضار النظائر، واستحضار المتقابلات، فلهذا أتى بمسألة ثانية، قال: الاستطاعة في الحج، ما يلزم تحصيلها، أنت فقيرٌ، لا يلزمك أن تسعى لتحسين أوضاعك من أجل أن تحج، هذا لا يلزم، لأنها هذا يتم به الوجوب، وليس الواجب، ولهذا قال: بخلاف الاستطاعة في الحج ونحوها، فإنه لا يجب تحصيلها؛ لأن الوجوب هنا، لا يتم إلا بها، وليس الواجب، أن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجبٌ، أما ما يتم الوجوب إلا به، فهذا ليس بواجبٍ.

قال: الفصل الرابع: معرفة الأصلح، وكيفية تمامه، والمهم في هذا الباب، معرفة الأصلح، وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية، ومعرفة طريق المقصود، فإذا عرفت المقاصد والوسائل، تم الأمر، فلهذا لما غلب على أكثر الملوك قصد الدنيا دون الدين، قدموا في ولايتهم من يعينهم على تلك المقاصد، وكان من يطلب رئاسة نفسه يؤثر تقديم من يقيم رئاسته. وقد كانت السنة، أن الذي يصلي بالمسلمين الجمعة والجماعة، ويخطب بهم، هم أمراء الحرب، الذين هم نواب ذي السلطان على الجند، ولهذا لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر في الصلاة، قدمه المسلمون في إمارة الحرب وغيرها.

وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا بعث أميراً على حربٍ، كان هو الذي يؤمره للصلاة بأصحابه، وكذلك إذا استعمل رجلاً نائباً على مدينة، كما استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، وعلياً ومعاذاً وأبا موسى على اليمن، وعمرو بن حزم على نجران، كان نائبه هو الذي يصلي بهم، ويقيم فيهم الحدود وغيرها، مما يفعله أمير الحرب، وكذلك خلفاؤه من بعده، ومن بعدهم من الملوك الأمويين، وبعض العباسيين، وذلك لأن أهم أمر الدين، الصلاة والجهاد، ولهذا كانت أكثر الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة والجهاد، وكان إذا عاد مريضاً يقول: «اللهم اشف عبدك، يشهد لك صلاةً، وينكأ لك عدواً». ولما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- معاذاً إلى اليمن، قال: «يا معاذ، إن أهم أمرك عندي الصلاة»، وكذلك كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يكتب إلى عماله: إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حافظ عليها، وحفظها، حفظ دينه، ومن ضيعها، كان بما سواها من عمله أشد إضاعةً، وذلك لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الصلاة عماد الدين»، فإذا أقام المتولي عماد الدين، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي التي تعين الناس على ما سواها من الطاعات، كما قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: 45]، وقال -سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153]، وقال لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ \* مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا \* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 56-58].

والمهم في هذا الباب، معرفة الأصلح، وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية، ومعرفة طريق المقصود،

- يعني من أجل أن نعرف الأصلح، نعرف ماذا نريد، لماذا؟ مقصود الولاية، والطريق المقصود، يعني الغاية والوسيلة، لا بد أن نحدد الغاية، ونحدد الوسيلة، في أي أمر نريده، وأيضا هذه الوظيفة، التي نريد لها الموظف، يعني من أجل أن نعرف الموظف، علينا أن نعرف الوظيفة قبل أن نعرف الوظيفة، في هدفها، وفي وسيلتها.

فيقول: معرفة الأصل يعني من الموظفين، أو من الولاة، إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية، وأيضًا معرفة الطريق إلى المقصود، فإذا عرفت المقاصد والوسائل، تم الأمر. وهذا أيضًا فقهٌ عجيبٌ، لما غلب على أكثر الملوك، قصد الدنيا، دون الدين، قدموا في ولايتهم من يعينهم على تلك المقاصد، وكان من يطلب رئاسة نفسه يؤثر تقديم من يقيم رئاسته، يعني من يعينه على إقامة رئاسته، وإن كان إلى حدٍّ ما طبيعة السلطان، وطبيعة الرئاسات، خاصةً الدنيوية، لا ينتظر فيها أن تكون، وإن كان لاشك الأمل حسنٌ، لكن تكون على نحو الخلافة الراشدة، يبقى السلطان سلطانًا، ويبقى السلطان أيضًا حوله ما حوله من الأبهات ما ينبغي، بل حتى من الهيبة إلى آخره، ولهذا حينما ينبغي لمن يسمع مثل هذا الكلام، ألا ينتقل فورًا حتى يكون في صدره شيءٌ على الولاة، أو نحو ذلك؛ لأنه كما مر معنا أنه يُنظر على حسب الأحوال والظروف إلى آخره.

**وقد كانت السنة، أن الذي يصلي بالمسلمين الجمعة والجماعة، ويخطب بهم، هم أمراء الحرب، الذين هم نواب ذي السلطان على الجند.**

- الحقيقة حينما يسر الله -سبحانه وتعالى- ووضعتُ كتاب تراجم الأئمة الحرمين، من عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الوقت الحاضر، كما قال الشيخ الحقيقة، لاحظتُ أن الذي يقوم بالصلاة، هم الولاة، إذا جاء الخليفة، في أي بلدٍ هو الذي يصلي، والوالي في البلد هو الذي يصلي، ولهذا كان في الحرمين الشريفين، إلى تقريبًا القرن الخامس، والذي يصلي هو الوالي، والي المدينة، والي مكة، هو الذي يصلي ويخطب، وإذا جاء الخليفة حج، هو الذي يصلي، هو الذي يتقدم، حتى أنه حينما سقطت ولاية بني أمية، في المدينة، وطبعًا في المدينة حضرت صلاة العشاء، لم يتقدم أحدٌ؛ لأنه لم يعين واليًا من قبل بني العباس، واجتمعوا ما وجدوا أحدًا يتقدم، وأوشك -كما تقول الرواية- تقدم أحد أظنه من الأشراف، أو من بني أمية أظن، فقال: أصلي بكم، على ولاية أبي جعفر المنصور، يعني بمعنى أنه تقدم كأنه على ولاية أبي جعفر المنصور، وتقدم وصلى بهم، فكان عندهم، الولاية مرتبطةً بالصلاة، إمامة الصلاة مرتبطةً بالإمامة السياسية، أو أئمة الولاية، ولهذا قال الشيخ هنا: كانت السنة، أن الذي يصلي بالمسلمين الجمعة والجماعة، ويخطب بهم، هم أمراء الحرب، الذين هم نواب ذي السلطان على الجند، طبعًا يبدو عند الشيخ مصطلح نواب الحرب، هم الولاة عامةً، وإن كان ليس بمعركةٍ، وإنما والي الحرب، هو الوالي السياسي، نحن نسميه في العصر الحاضر، الولاية العامة.
- ولهذا لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر في الصلاة، قدمه المسلمون في إمارة الحرب، لما توفي النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولهذا قالوا: رضيه النبي -صلى الله عليه وسلم- لديننا، أفلا نرضاه لديننا؟! لأن أبا بكر حينما قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» وهو مريضٌ، وكأن عائشة رجعت، وقالت: إن أبا بكر رجلٌ أسيفٌ، يعني بكاءً، قال: «**مروا أبا بكر فليصل بالناس، يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**» ، وفهم العلماء والصحابة أنها إشارةٌ إلى أنه هو الخليفة، ثم قالوا: رضيه لديننا، أفلا نرضاه لديننا؟!
- ولهذا هنا يقول الشيخ: ولهذا لما قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر في الصلاة، قدمه المسلمون في إمارة الحرب وغيرها.

**ولهذا قال: وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا بعث أميرًا على حرب، كان هو الذي يؤمره للصلاة بأصحابه،**

- وفي القصة الماضية، أظن في عبارة، حينما أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- عمرو بن العاص، في غزوة ذات السلاسل، أراد أبو عبيدة أن يتقدم، قال: لا، أنا إمام حربٍ، ولم يتقدم، وأبو بكر كان فيهم، لم يتقدم أبو بكر، في الدرس الماضي، في قصة ذات السلاسل، كان الأمير، عمرو بن العاص -رضي الله عنه-، وأراد أبو عبيدة أن يتقدم، قال: أنا الأمير، الرسول -صلى الله عليه وسلم- أمرني، وصلى بهم عمرو، مع أن فيهم من فيهم.
- فهنا يقول: وكان هو الذي يأمره للصلاة بأصحابه، وكذلك إذا استعمل رجلاً نائباً على مدينة، كما استعمل عتاب بن أسيد على مكة، وعثمان بن أبي العاص على الطائف، وعلياً ومعاداً وأبا موسى على اليمن، وعمرو بن حزم على نجران. كلهم كانوا ولادةً، وهم الذين يؤمنون في الصلاة، وهم ولادة حربٍ.
- قال: وكذلك خلفاؤه من بعده، ومن بعدهم من الملوك الأمويين، وبعض العباسيين، انتهت هذه في حدود القرن أواخر الرابع والخامس، لأنه بدأ الولاية لا يتقدمون، ويعينون أئمة.
- يقول: وذلك لأن أهم أمر الدين، الصلاة والجهاد، فهو أمير حربٍ، يكون إمام الصلاة.

### ولهذا كانت أكثر الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصلاة والجهاد،

- لاحظ، قال: وكان إذا عاد مريضاً يقول: «اللهم اشف عبدك، يشهد لك صلاةً، وينكأ لك عدوًّا» ، انظر إلى الربط بين الصلاة والجهاد، وكذلك أيضاً قال: «يا معاذ، إن أهم أمرك عندي الصلاة» ، المحقق يقول: لم أجده بهذا اللفظ، وإن كان معناه صحيحٌ، طبعاً الصلاة عماد الدين، لكن بهذا اللفظ، المطلوب مراجعته بهذا اللفظ.
- وكذلك عمر -رضي الله عنه- يكتب إلى عماله: إن أهم أموركم عندي الصلاة، فمن حافظ عليها، وحفظها، حفظ دينه، ومن ضيعها، كان بما سواها من عمله أشد إضاعةً، وذلك لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «الصلاة عماد الدين»، أيضاً بهذا اللفظ.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.